14 me Année No. 664

Lundi—25—3—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

ر الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٦٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ — ٢٥ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أعداؤنا الثـــلاثة

كانت « الرسالة » أول من حصر أعداءنا الثلاثة فى الجهل والفقر والمرض حين اقترحت على وزارة الشؤون الاجتماعية أن تحرر دستورها الإصلاحى تحت هذه العناوين ، لأنها مُجْتَاع العلل التى يصدر عنها كل فساد وينجم منها كل شر[1] ؛ وقالت يومئذ : إن هذه الوزارة تجديد رسمى لدعوة النبوة ، فلاك الأمر فيها الدرس والروية والمشورة والعزيمة والنفاذ ، على أن يكون كل رأى فى وجهه ، وكل عمل فى وقته ، وكل أمر فى أهله . ثم انتظرنا وانتظر الناس ، فإذا هى وزارة كسائر الوزارات : مكاتب وكتاب ، وسماة وحجاب ، وأوراق تفرّق وتجمّع ، وأرزاق تقدّر وتوزّع ، ثم علم من غير عمل ، أو عمل من غير علم ؛ وإذا نحن بعد ثمانى سنوات من عمرها لا نزال من الأمية والفاقة والعلة فى الموضع الذى كنا فيه إذا لم نكن تأخرنا عنه . ذلك لأنها وزعت جهدها الضئيل ومالها القليل على ما سلبت من اختصاص الوزارات فعجزت عن أداء ما خلقت له ؛ وتعاقب عليها الوزراء والوكلاء تعاقب الظلال الخفاقة فلم يمهلوا حتى ينضجوا الرأى ويرسموا الخطة ويبتغوا الوسيلة . فإذا سنح لها خاطر فى الإصلاح بدأته من آخره أو أخذته من طرفه فينتشر عليها الأمر وتلتبس أمامها الوجهة . فالأمل إذن فى استعدائها على الجهل والفقر والمرض وهى مصابة بهن جميعاً أشبه الأشياء باستشار الصفصاف واستيلاد العقم . ولكن علل الشقاء المصرى كانت قد برزت فى وعينا القوى بروز العقيدة الراسخة والضرورة الملحة ، فهى تثب إلى العيون وثوب الحصى ، وتقع فى القلوب وقوع النبل ، فمن حاول أن يفر منها أو يغضى عنها كان كالمصحر فى وسط الزوبعة أنّى اتجه وجد الرمل فى وجهه والظلام فى وجهته . وذلك مثل الذين تزعموا نهضة الأمة فى مدى ربع قرن فقصروا الجهود وحصروا الأفكار فى مكافحة العدو الرابع وهو الاحتلال . ولو كتب الله لهم التوفيق لشبوها على الأعداء الأربعة فى وقت واحد ؛ ولو مهد لهم سبيل الفوز لجعلوا الميدان الأول للعدو الأول وهو الجهل ؛ لأنه هو الذى ولد الفقر والمرض ثم استعان بهما على سلب الاستقلال ، وجلب الاحتلال ، وقتل الروح القومية فى الشعب ، فلم يكن له رأى عام لنقص إدراكه ، ولا خير مشترك لضعف إنتاجه ، ولا كيان صحيح لوهن جسمه . ولكن زعماءنا اختاروا أسلم الميادين ، ونهجوا أسهل الطرق ، وابتغوا عرَض الحياة ، لأن محاربة الاحتلال لا تكلفهم غير تأليف المظاهرات وإنشاء المقالات وإلقاء الخطب ، ثم تنتهى بهم وشيكاً إلى الحكم والثروة والجاه عن طريق الدستور أطال الله عمره وأعز نصره ! أما محاربة الجهل والفقر والمرض ، فجهاد لا يثبت له ولا يصبر عليه إلا أولو العزم من المجاهدين المخلصين المضحين الذين يعملون ليرضى الله ، ويشقون ليسعد الناس ، ويموتون ليحيا الوطن !

(١) العدد ٣٢٩ (٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩) وما بعده .

على أن الزعيم الحكيم يستطيع أن يدرك من وراء السياسة والحكم رضا قلبه ورضا شعبه ورضا ربه إذا تأبى على المطامع ، وتعالى عن الشهوات ، ووجّه قوى الحكومة والأمة كلها إلى هذا الجهاد المقدس . إنه إن أحسن التنبيه وأخلص التوجيه وأحكم القيادة ، أبلى بلاء الرسل دون أن يتصدى لمخاطر الرسالة ، وجوزى جزاء الملوك دون أن يتعرض لمكاره الملك ، فأجناده يضحّون وهو يُعيّد ، وقواده يحاربون وهو ينتصر ، وأنداده يفنون وهو يخلد !

* * *

ليت شعري هل كان يفكر في ذلك صاحب الدولة رئيس الحكومة القائمة حين قطع العزم على أن يكون برنامجه في الحكم مفاوضة الاحتلال في مصر والسودان على الجلاء ، ومجاهدة الجهل والفقر والمرض حتى الفناء ؟ !

نعم ، طوى برنامجه السياسي على هذين المطلبين ، ثم أخذ يهيء لها الأسباب ويُرصد الأهَب ، فألف وفد المفاوضة من رجالات السياسة ، وفي الوقت عينه ألف مجلساً أعلى لشؤون الطبقات الفقيرة من وزراء المعارف والشؤون والصحة والزراعة والتجارة ، وجعل لنفسه الرياسة في الوفد المفاوض وفي المجلس الأعلى ، ثم بدأ العمل في الميدانين على السواء . والذي يعنينا اليوم ذكره أن هذا المجلس الأعلى قرر القيام بطائفة من أضخم المشروعات الثقافية والاقتصادية والصحية ، تحقق العدالة الاجتماعية ، وترفع مستوى العيش لجمهور الشعب وهو صلب المجتمع وأداة إنتاجه وعدة دفاعه ؛ ورأى تنفيذاً لتلك الأعمال الخطيرة أن يعقد لها قرضاً وطنياً بخمسين مليون جنيه يُثمّر فيه عفو المال وفضلات الرزق فتجدي على صاحبها مرتين : مرة في نفسه ، وأخرى في جنسه !

من تلك المشروعات العتيدة ما يعالج الجهل كإصلاح التعليم الإلزامي ، ومحو الأمية فيمن شبوا عن الطوق وجاوزوا حد الإلزام . ومنها ما يعالج الفقر والمرض كتقسيم القطر إلى وحدات اجتماعية عامة ، تنقسم كل منها إلى عشرة آلاف وحدة ، تتمثل في كل وحدة جميع الوزارات المشتركة في هذا المجلس الأعلى فتكون سفيراً بين الحكومة والفلاح ، وصلة بين العلم والزراع ، ورسولا من الطب إلى المرضى ، ووسيطا بين التاجر والمنتج ، وبرزخاً بين الناس والمعرفة ؛ وتلك هي الأعمال التي أنشئت لها وزارة الشؤون فلم تستطع النهوض بها ، ولم تصارح الناس بالعجز عنها ؛ وظلت تعد على هامش الحكومة : تصدر المجلة ، وتملق الموالد ، وتسمع النقابات ، وتزور الساجين ، وتستقبل العمال ، وتأخذ شيئاً من كل شيء ، ولا تؤثر أبداً في أي شيء ! وكان من وسائلها المرجوة لو رزقت ملكة الابتكار ، أن تدير المال والرجال بمثل ما يدبر اليوم رئيس الحكومة فتذلل العقبة التي وقفت دونها خائرة القوى لا تعرف لأمرها قِبلة ولا دِبرة .

لقد عبأ رئيس الوزراء قوى الحكومة والشعب لمحاربة أعدى الأعداء ، وليس في الأمة اليوم كما يقول شبابها ويردد كهولها من يضن بماله ونفسه على هذه الحرب ، فهل آن لمصر السادرة في الخلاف والغي أن تدرك سر النهوض ، وتعرف حقيقة الإصلاح وتعلم أن الأمة لا تكون متمدنة إلا إذا امّحت هذه الفوارق المخيفة بين الخاصة والعامة ، وبين المدينة والقرية ؟ إنك ترى الداء القروي في جسمه الضاوي وثوبه الخلق وجهله المطبق ، ثم ترى الغنى الحضري وعليه زهرة العيش ونضرة الصحة ونور العلم ، فلا تصدق أن هذين الرجلين يرأسهما وطن واحد ، وتحت حكومة واحدة !

إن معرة الاحتلال العسكري تصيب المحتل في شرفه وضميره لأنه يبرره بضعفنا ويؤيده بقوته ؛ ولكن معرة الانحلال الفكري والجسدي والاجتماعي تصيب الشعب في كرامته ودينه ، لأنه برضاه وهو قادر على الافلات من ربقته .

لذلك كنا أحرياء أن نفكر بعض التفكير في عاقبة الأمور ؛ فان الوزارة الصدقية محدودة الأجل بنتيجة المفاوضات ، فإذا أخفقت مفاوضة الاحتلال ، أو مال ميزان الانتخابات الشمال ، اعتزلت الوزارة الحكم لا محالة . وإذن يحق لنا أن نتساءل عن مصير العملين العظيمين اللذين بدأهما صدقي باشا ؛ المفاوضات السياسية فيستأنفها وفد يتلوه وفد إلى أن يرث الجزر البريطانية ومن عليها ، لأن هذا النوع من الجهاد نحن نجيده ، وسلام ونحن نريده . وأما هذه الهبّة الإصلاحية فأغلب الظن ألاّ تستمر ، لأنها بناء ونحن نحب الهدم ، ونحن نؤثر الراحة ، ونجد ونحن نكره أن يكون لغيرنا الإكبار والله سبحانه وتعالى قادر على أن يخيب هذه الظنون . وأن يجعلنا للشيء كن فيكون !

[illegible]